محمد بن خليفة النبهاني والجزء المتعلق بالبصرة من كتاب التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية

أ.د. ليلى ياسين حسين أ.م.د. باسم حمزة عباس
جامعة البصرة – كلية الدراسات التاريخية

ولادته ونشاته :

هو محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي ، يعود نسبه إلى نبهان بن عمرو بن الغوث الطائي[١] ، ولد في مكة المكرمة سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م ، وهو الابن الاكبر للشيخ خليفة بن حمد بن موسى[٢] .

نشا محمد بن خليفة في مكة وتلقى تعليمه عن والده ، وعن عدد من علماء الحرم المكي ، ثم التحق بالمدرسة الصولتية[٣] ، وتخرج منها ، ولازم حلقات المسجد الحرام ، فاخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن احمد دهان ، والشيخ محمد بن يوسف خياط ، بعدها عمل مدرساً في الحرم المكي ، حيث الحلقات التي يؤمها العديد من الطلبة والدارسين[٤] .

زار محمد بن خليفة العديد من البلاد العربية والإسلامية ، فاتسعت مداركه وازدادت علومه ، وكان يُدرِّس في كل مدينة حل فيها وفي سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م قدم البحرين ومكث فيها ردحاً من الزمن ، ثم واصل رحلته إلى العراق واستقر به المقام في البصرة حتى توفي ودفن فيها سنة ١٣٥٠هـ/١٩٤٩ م . كما سيرد ذلك تفصيلاً .

النبهاني شاعراً :

ورد اسم محمد بن خليفة النبهاني في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، اعتماداً لما ورد له من بعض القصائد ، هنا وهناك ، في كتاب التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، إضافة إلى ديوان صغير مخطوط[٥] .

وكان معظم شعره يدور حول المدح الذي اختص به أمراء إل خليفة وشيوخهم في البحرين ، فورد له في مدح الشيخ عيسى بن علي إل خليفة[٦] حاكم البحرين آنذاك ، قوله[٧] :

له همة لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى اجل من الدهر
له راحة لو إن معشار جودها ... على البر كان البَرُ أندى من البحرِ

كما مدح أبنه الشيخ حمد[٨] ، ولي العهد في هذه الأبيات[٩] :

تساماً على الإقران بالفضل والقدر ... بهمته حاز المحاسن كالبدر
أميرٌ له أوج المعارف مركب ... وإثاره عمت على البر والبحرِ
له الأرض طرا تحت قبضة سيفه ... وأفعاله تنبي عن السرَ والجهرِ
مليك له خلق كريم ومنطق ... يقر به أهل الدراية والفخر

كذلك كتب بعض الأبيات في مدح أخويه الشيخ محمد والشيخ عبدالله[١٠] .

وقد ورد من إشعاره في مناهضة الحروب وبخاصة الحرب العالمية الأولى التي " أهلكت الأمم وأذلت الهمم " ، وكان معاصراً لإحداثها ، وقد أشار في أبياته إلى بعض المخترعات الحديثة ، من الأسلحة ، ومنها المدافع ، والمناطيد ، والبوارج ، والبواخر ، وكما ياتي[١١] :

أجْلُ المناظرَ في عجائبَ مَنْ قدرْ ... وأجْلُ البصيرة في تصاريفِ القدرْ
فلقد أبادت حربُ رابعة العشر ... أمما وملت معظم الأرض البشرْ
بمدافع الطراد أو قذف ... تاتي عليهم ليس تبقي أو تذر
وبكل طيار وجوال سَطا ... بقذائف الرشاش يزري بالمطر
وكانما المنطاد في سِربْ العِدَا ... نسرُ وصقرُ هافتان على حذر
وترى شهابَ قذائف الجوال في ... جسد العُداة تقول لا من مفر

وكان شِعره في الغزل يميل فيه إلى الشكوى الممزوجة بالعتاب والفخر الذاتي ووصف بعامة بأنه "تتجه لغته إلى المباشرة ، وخياله قريب ، وشعره اقرب إلى النظم"[١٢] .

النبهاني مؤرخاً :

للشيخ خليفة بن حمد النبهاني مؤلفات عديدة منها المهم ومنها الأهم ، ومن ابرز مؤلفاته التي لاقت انتشاراً واسعاً كتاب : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية .

ويعد الكتاب موسوعة تاريخية مزينة بالرسوم والصور النادرة ، ويقع في اثنتي عشرة جزءاً ، تغطي وحسب تسلسل أجزائها : الحجاز ، اليمن ، حضرموت ، مسقط ، عمان ومشيخات الإمارات العربية ، البحرين ، الإحساء ، الكويت ، البصرة ، المنتفق .

طبع كتاب التحفة النبهانية طبعات عديدة ، ولعل أقدمها وأكثرها رواجاً تلك التي بين أيدينا وهي الطبعة الثانية ، طبعة المحمودية ، القاهرة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣م[١٣] ، ثم صارت الأجزاء " المعثور عليها " تطبع في بيروت والبحرين[١٤] .

ومن الجدير بالذكر إن الأجزاء المعروفة والمتداولة في الكتاب هي الأجزاء ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، وهي حسب التسلسل : البحرين ، الكويت ، البصرة ، المنتفق ، ولا نجانب الصواب بقولنا إن الاكثر اشتهاراً من بينها المجلد الذي يضم الجزئيين السادس والتاسع ، أي البحرين والبصرة .

ويلاحظ من الأجزاء الأربعة المذكورة إن الشيخ النبهاني قد بذل جهداً واضحاً في جمع مادتها بالرجوع إلى المصادر وتقصي الحقائق واستنطاق مبعثر الأوراق والدفاتر ، كما أشار إلى ذلك في مقدمة الجزء الخاص بالبحرين .

كما يلاحظ إن المؤلف نهج نهجاً واحداً في تناول إخبارها حيث بدأ بالحدود الجغرافية والحالة الطبيعية ، وتاريخها القديم والحديث ثم عرج على الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيها مروراً بأهم مدنها ومآثرها وتقسيماتها الإدارية . بقدر ما أنه لا يمكن الجزم بدقة الأجزاء الأربعة المذكورة من الناحية التاريخية ، وبقدر ما يمكن الجزم بأهمية المعلومات والصور الواردة فيها والتي تضفي الأهمية التوثيقية للكتاب .

ففيما يتعلق بالجزء السادس من كتاب التحفة النبهانية ، والمختص بالبحرين فانه يعد باكورة الإعمال التاريخية التي تصدت لكتابة تاريخ دولة البحرين في عصرها الحديث والمعاصر ، وقد

وصف بأنه ربما كان الكتاب " الأقدم والأوفى" عن تاريخ البحرين ، حتى عَد بسببه " مؤرخ البحرين "[١٦] ويقع في (٢٦٢) صفحة تضم في ثناياها (٢٤) صورة لعدد من أسرة إل خليفة ، فضلاً عن صورة المؤلف ووالده ، ومذيل بالتعليقات والتصويبات التاريخية واللغوية .

وكان المؤلف قد زار البحرين في عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م ومكث فيها مدة من الزمن ، حيث نزل عند رغبة شيوخها وأمرائها في إن يؤرخ للبحرين وحكامها قديماً وحديثاً ، ومن استولى عليها في تقادم السنين وما وقع فيها من الملاحم والمعارك زمن المشايخ الخليفيين ، فوضع كتابه بعنوان : النبذة اللطيفة في الحكام من إل خليفة ، ونظراً لفقدان مسودة الكتاب ، كما سنأتي على ذكره ، فقد أعاد جمع مادة الكتاب ووسع فيها وزاد عليها فظهر تحت عنوان " التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية .

إما الجزء الثامن والمتعلق بتاريخ الكويت فقد صدر في (٢٢٤) صفحة تمتد معلوماته إلى عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م أي سنة وفاة المؤلف أو قبلها بقليل .

وبينما تضمن الكتاب الثالث من بين الأجزاء الأربعة المعروفة ، تاريخ البصرة ويحمل رقم التسلسل (٩) ، وهذا ما سيرد تفصيلاً ، فأن الجزء العاشر اختص بتاريخ المنتفق ، وهو تاريخ الناصرية أو ذي قار حالياً ، المحافظة المتاخمة للبصرة ، ويقع في اقل من (٢٠٠) صفحة مزينة بالصور ومذيلة بالتصويبات وبقائمة للوفيات ، وقد احتل التاريخ الحديث الواقع في الربع الأول من القرن الماضي معظم محتويات هذا الجزء[١٦] .

وتعليقاً على الأجزاء الثمانية الأخرى من كتاب التحفة النبهانية ، والتي هي بحكم المفقودة ، أنها ربما لم تطبع أصلاً إلا إن ورود عناوينها مكملة لتسلسل الأجزاء التي سبق ذكرها " يرجح فرضية الفقدان "[١٧] .

والى جانب كتاب التحفة النبهانية ، فان للمؤلف قائمة أخرى معروفة من الكتب وهي حسب التسلسل الأبجدي كالآتي[١٨] .

١- إرشاد السالك ، شرح أوضح المسالك (نظم العمروسي) .

٢- التذكرة النبهانية في وضع الاسامي للمخترعات العصرية والاكتشافات الزمانية وتعديل بعض الألفاظ العلمية .

٣- الثبت المسمى سلاسل العقيان في أحاديث الشيخ محمد بن خليفة إل نبهان .

٤- ثمرات الخرائط في رسم البسائط .

٥- خلاصة الهيئة النبهانية عن الآيات القرانية والأحاديث النبوية والأدلة العقلية في إثبات الحركة الشمسية حول الأرض سنوياً ويومياً .

٦- قطف الإزهار في معرفة المعادن والأحجار .

٧- مؤنس العزب تذييل سبائك الذهب في انساب العرب .

٨- الملحمة النبهانية ، شرح المنظومة الشمقمقية .

٩- النخبة النبهانية في شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .

تاريخ البصرة في كتاب التحفة النبهانية :

إن الجزء التاسع من سلسلة أجزاء التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، مختص بتاريخ البصرة وتوابعها وأقسامها ويقع في (٤٢٨) صفحة من القطع المتوسط ، طبعة القاهرة ١٩٢٣ م .

وقبل الولوج في تفصيلات الموضوع لابد من الإشارة إلى إن الشيخ النبهاني ، وكما يلاحظ مما ورد في الكتاب ، قد زار البصرة أكثر من مرة قبل إن يطيب له المقام فيها في العقد الثاني من القرن الماضي ، ففي الصفحة (١٢٤) من الكتاب ورد أنه وصل (أي المؤلف) بصحبة والده إلى أبي الخصيب سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م ، وكان عمره ثلاثة عشرة سنة ، وإنهم نزلوا في ضيافة الحاج محمد رجب المير[١٩] وفي الصفحة (٧١) كتب النبهاني أنه كان حاضراً من بين جموع أهالي البصرة ، يوم وضع الحجر الأساس لإنشاء مخفر سوق الدجاج في البصرة بأمر من الوالي مخلص باشا سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م .

وكانت الزيارة الثالثة سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م قادماً من البحرين ومتوجهاً إلى بغداد لطبع كتاب : النبذة اللطيفة في الحكام من إل خليفة ، حين رست بهم الباخرة في ميناء البصرة ، ومنها ركب الباخرة ، حميدية"[٢٠] ، النهرية المتوجهة إلى بغداد في العام نفسه .

وهنا يسترسل المؤلف في الكلام عن كيفية تغيير عنوان الكتاب ، وذلك ان الشيخ النبهاني قابل في بغداد صديقه الأديب احمد جودت ابن علي كاظم بيك الموصلي ، صاحب جريد " المنير"[٢١] البصرية ، وأن الأخير هو الذي أشار عليه بتوسيع معلومات الكتاب ليصبح تاريخاً عاماً للجزيرة العربية ، وأن يُحلى الكتاب بصور الحكام والشخصيات المهمة فيها .

عكف النبهاني لإتمام المشروع ، وأبدل عنوان الكتاب تبعاً لذلك ليصبح : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية كما أشرنا ، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى عجل النبهاني في العودة إلى البصرة ، ولما يكمل طبع مسودة الكتاب الخاص بالبحرين وإثناء عودته صدرت الأوامر العثمانية بغلق مدخل البصرة من جهة الفاو في ١٠ ذي الحجة ١٣٣٢هـ/ ١١ كانون الأول ١٩١٣م ، وعليه لم يتمكن من المغادرة ، وأثر دخول القوات البريطانية البصرة أُسر المؤلف مع من تم أسرهم في وقتها ، وصودرت جميع أوراقه وكتبه بما فيها مسودة الكتاب المذكور ، ولم يتم الإفراج عنه حتى عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م بعد تدخل من شيخ البحرين عيسى بن علي إل خليفة لدى قوات الاحتلال البريطاني في البصرة ، آنذاك ، على إن لا يغادرها ، وبقى فيها مراقباً لحين عقد الهدنة عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨ م فرفعت عنه المراقبة وأصبح حراً طليقاً ، إلا أنه لم يغادر البصرة ، هذه المرة بارادته ، حيث طاب له المقام فيها ، ويبدو أنه سكن في محلة القبلة القديمة حالياً ، لأنه طلب أن تصله المراسلات إلى "عنواننا وهو "باسمنا إلى البصرة محلة القبلة" وقد عرف مكان سكنه فيما بعد بمحلة النبهاني [٢٢] .

وبعدها عكف المؤلف على إعادة جمع مادة الكتاب ولكن " بهمة دون الهمة الأولى" حسب تعبيره ، وبالرغم من ذلك حاز الكتاب على إقبال ورواج كبيرين ، وقد ترجمت طبعته الأولى إلى اللغة الانكليزية[٢٣] .

وفي الطبعة الثانية الموسعة ، والتي هي مدار كلامنا ، افرد المؤلف لتاريخ البصرة جزءاً خاصاً بها ، وهو الجزء التاسع ، والذي ضم إلى الجزء السادس الخاص بالبحرين ، وصدر بمجلد واحد ، كما اشرنا ، وعليه ختم المؤلف ، وكتب في صفحته الأولى ((إن كل نسخة غير موقع عليها تُعد مسروقة)) وكتب في الصفحة نفسها ((وقد أعدنا النظر فيه في الطبعة الثانية ووسعنا متنه ومبناه ، وبسطنا لفظه ومعناه ، وزدنا فيه فصولاً وفوائد وأمثلة وشواهد حتى كانه أنشا أنشاءً مستانفاً ، كل ذلك استتماماً للفائدة واستنراده في التصحيح والضبط)) .

مصادر الكتاب :

لابد إن الشيخ النبهاني كان مدفوعاً ، في إفراد جزء خاص عن تاريخ البصرة ، برغبة ملحة في الكشف عن جوانب مهمة أهملها المؤرخون ، ومن الواضح أنه اعتمد على عدد ليس قليل من المصادر منها ما ذكره المؤلف ومنها ما لم يتطرق إليه ، ولنا وقفة مع تلك المصادر .

فمن الجدير بالذكر ان الوثيقة الوحيدة " اليتيمة " التي اعتمدها المؤلف هي قائمة بأسماء المساجد التي كانت في البصرة أوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث ذكر " قد عثرنا على ورقة منقولة في سجل عبد الله أفندي الرحبي (مدير الأوقاف في وقته) قال ما نصه في بيان الجوامع والمساجد والتكيات داخل البصرة المحمية .... "[٢٤] ، وكان قد ورد فيها أربعة وسبعون ما بين مسجد وجامع وتكية .

إما معظم المصادر التي ورد ذكر بعض عناوينها أو أسماء مؤلفيها ، فإنها لا تمس تاريخ البصرة بقدر ما جاء في تسميتها ووصفها وأجناسها ، ففي الصفحة (٧٩) ورد ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف[٢٥] ، للتعريف بـ(قحطان بن هود) ، وفي الصفحة نفسها جاء ذكر الهمداني[٢٦] ، دون الإشارة إلى عنوان الكتاب ، في تعريف (يعرب بن قحطان) ، وفي الصفحة (٨٠) كتب عن طبقات العرب مشيراً إلى إن " الطبقة الرابعة" سماهم ابن خلدون ، العرب المستعجمة[٢٧] .

وعلى الصفحة (٩٢) تطرق النبهاني إلى زيارة ابن بطوطة إلى البصرة ، أول القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وأنه أثنى على أهل البصرة " بمكارم الأخلاق وإيناس الغريب والقيام بحقه وقال " فلا يستوحش فيها بينهم غريب" .

وفي إشارة إلى قلة العلماء في البصرة آنذاك عرض النبهاني قول الشيخ عثمان بن سند[٢٨] في ذلك :

قد كانت البصرة الفيحاء من قدم
مجرى لأبحر نحو تقذف الدررا
فاصبحت وهي صفراء الوشاح فلا
نحوىً فيها سوى نزروهم فقرا

وفي الصفحات (١٣٦-١٣٩) ورد قول خالد بن صفوان[٢٩] ، والأصمعي[٣٠] ، وابن خلكان[٣١] في وصف الابلة ، كما جاء وصف ابن منصور الثعالبي في ثمار القلوب ، وابن عيينه[٣٢] ، والتنوخي[٣٣] في وصف نهر الابلة .

وفي الصفحة (٢٠٠) تطرق المؤلف إلى معلومات استقاها من المسعودي دون الإشارة إلى ذكر المصدر[٣٤] أيضاً ، وذلك حول محاربة الخليفة العباسي الموفق لصاحب الزنج[٣٥] سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م . وكذلك ما قاله ابن الاثير[٣٦] في الصفحة (٢٥١) حول هجوم بنو عامر على البصرة وقتلهم لإعداد كبيرة من الأهالي ونهب أسواقهم وبيوتهم سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م .

ذلك جلّ ما تطرق إليه الشيخ النبهاني من أسماء أو عناوين بعض المصادر التي وردت في الكتاب ، غير إن ذلك لا يقلل من أهمية المعلومات الواردة في تاريخ البصرة قديمها وحديثها ، وما عاصره المؤلف من وقائع وإحداث أو قريباً منه لغاية انتهاء الحرب العالمية الأولى .

عرض الكتاب واهم ما ورد فيه :

بعد مقدمة قصيرة حمد الله فيها وصلى على نبيه محمد أفضل صلاة ربنا عليه وسلامه ، قسم الشيخ النبهاني الجزء الخاص بتاريخ البصرة إلى ثمانية وخمسون قسماً ما بين عنوان رئيسي

وعنوان جانبي ، وابتدأ بتناول حالتها الطبيعية وتسميتها وحدودها ومناخها وحاصلاتها وأنهارها وأسماء مقاطعاتها والحالة الاقتصادية فيها ، ثم عرج على أهم المآثر والمشاهد فيها ، وتاريخ ارتقائها والحالة السياسية فيها ، كما افرد أقساما أخرى عن طباع البصريين ومعارفهم ، وذكر مساجدها القديمة والحديثة ، وتقسيماتها الإدارية ، وقد خصص خمسة وعشرون عنواناً لذكر من تولى على البصرة من الحكام منذ زمن الخلافة الراشدية ، مروراً بالامويين والعباسيين ، ووصولاً إلى العثمانيين وانتهاءً بالاحتلال البريطاني للبصرة سنة ١٩١٤ ، مع التاكيد على سنوات توليهم واهم الإحداث والوقائع التاريخية أو الحضارية التي تخللت سنوات حكمهم .

وفيما يلي نعرض بعض ملامح البصرة وتاريخها ، كما ورد من المعلومات في الكتاب وحسب ما أرتاينا من الاهمية :

البصرة مدينة إسلامية مشهورة بنيت ومصرت أيام الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٥ هـ / ٦٣٦م ، في منطقة يطلق عليها " الخريبة" كان فيها مخافر كسرى ، ملك الفرس ، بنيت بالقصب ثم باللبن ، وهي طبقة من الطين على شكل طابوق ، وان سبب تسميتها البصرة ، ذكر النبهاني : ، إن عتبة بن غزوان عندما كتب للخليفة يستاذنه في تمصيرها وصفها بقوله : " أرى أرضاً كثيرة القضة في طرف البر إلى الريف ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء ، فقال عمر هذه ارض بصرة ... " ، ومعنى البصرة باللغة كما ذكر النبهاني ، الأرض الغليظة ، أو الأرض ذات الحجارة الرخوة .

ووصف النبهاني بناء البصرة وهيئة شوارعها وأطوالها ، وأول ما بنى فيها مسجدها ودار إمارتها بالقصب ، وكان أول مولود بها عبد الرحمن بن بكرة[٣٧] ، وهو أول من غرس النخل في البصرة فيما بعد ، وقال : " هذه ارض نخل ثم غرس الناس بعده ... "

وبعد عتبة تولى عليها المغيرة بن شعبة ، ثم أبا موسى الأشعري ١٧ هـ / ٦٣٨م ، الذي بنى المسجد ودار الإمارة بالدبن .

وكانت البصرة أخذةً في الاتساع والبناء طيلة العهدين الأموي والعباسي ، ولكثرة ما توالى عليها من التقلبات والفتن على مر الزمن خربت تلك البصرة ، وأنشات أخرى في موضع يبعد عن الأولى مسافة ٥-٦ كيلومتر باتجاه شط العرب وذلك في أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

ويحد البصرة الجديدة ، حسب ما رواه النبهاني شط العرب شرقاً ، ونهر الخندق شمالاً ، وتتكون من قسمين يفصلهما نهر العشار المتفرع من شط العرب ومتجه نحو الغرب ، وان مدينة البصرة واقعة على ضفتي رأسه الغربي ، وغالب البيوت وجميع الأسواق في الضفة الجنوبية ، و" قرية العشار " في رأسه الأخر ومعظم المساكن والأسواق في الجهة الشمالية المطلة على شط العرب ، وبين العشار والبصرة نحو ميل مستقيم وقد تم اكساءه بالقير سنة ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢م .

وتكلم النبهاني عن خصوبة ارض البصرة وتنوع مظاهر السطح فيها ومناخها والرياح التي تهب عليها ، مشيراً إلى إن أسوأها هي الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية (الشرجي) ، وذلك لحرارتها ورطوبتها ، وأن هواء البصرة رديء لكثرة المستنقعات فيها بسبب تعرضها للفيضانات التي كانت تتعرض لها المدينة سنوياً ويسمى " ماء الموح " .

وقد بنيَ فيها عدد من السدود آنذاك لتقيها خطر الفيضان ، وأشهرها سد الجزائر ، الذي أنشا زمن رديف باشا ، والي بغداد سنة ١٨٧٢- ١٨٧٤ ،وهو عبارة عن (١٢٨) قطعة اسطوانية الشكل الطول الكلي لها (٣٨،٤٠٠،٠٠) ذراعاً عثمانياً ، وإما (ماء الزود) وهي الفيضانات الكبيرة والقوية جداً ، فكانت تتعرض لها المدينة كل (٢٠) سنة ويعرف بـ "الموح الأسود" .

وتطرق النبهاني إلى مصادر مياه البصرة القديمة مشيراً إلى إن الاهوار والمستنقعات ومبازل الشلب والمياه المتراكمة والراكدة ما بين العمارة محافظة "ميسان حالياً" وسوق الشيوخ وهور الحمار ، التي تصب في دجلة والفرات فتفقد عذوبتها وتزيد ملوحتها عند وصولها البصرة .

وفي البصرة انهار كثيرة جداً ، فلا تكاد تخلو قرية من الأنهار المتفرعة عن شط العرب البالغ طوله من القرنة إلى الفاو (١١٨) ميلاً بحرياً يتشعب منه (٣٦٧) نهراً كبيراً ، ويتفرع من كل نهر

جداول كثيرة يصعب حصرها ، والأنهار الكبيرة ، منها القديم ومنها الحديث ومنها ما بُدل اسمه ومنها ما دثر ، ومن أنهارها المشهورة ، نهر العشار ، نهر الخورة ، نهر الخندق ، نهر الرباط ، نهر المعقل .

وفيما يتعلق بتقسيمات البصرة الإدارية ، في وقتها ، ذكر النبهاني يتبعها قضاءان وخمس نواحي وهي : الفاو ، أبو الخصيب ، شط العرب ، الهارثة والزبير .

وقضاء القرنة من الدرجة الأولى ويتبعه أربع نواحي وهي ، بني منصور ، المدينة ، النشوة ، والدير ، وذكر " قضاء الكويت من الدرجة الثانية" تابع للبصرة " وافردنا تاريخه في أخر تاريخ الإحساء " أي جاء تسلسل الجزء الخاص بالكويت ، الجزء الثامن ، بعد الجزء السابع الخاص بتاريخ الإحساء كما اشرنا .

كما تعرض النبهاني إلى وصف بعض القصبات والنواحي ، والمحلات ، فذكر إن في البصرة (٢٦) محلة[٢٨] ومنها محلة القبلة ، الباشا ، السيف، وجسر العبيد ، وأبو الحسن ، يحيى زكريا ، السيمر ، الفرسي ، نظران ، الصبختان الصغيرة والكبيرة ومحلة الساعي ، وهي أخر البصرة في الجهة الشرقية حيث يبدأ العشار وأوله محلة ام البروم، القشلة ،المقام ،الدوب ، وفيها ثكنة الجنود البرية العثمانية .

ويقع العشار عند ساحل شط العرب الكبير شرقي البصرة ، ويقابله من الجهة الشرقية مقاطعة تسمى "التنومة" كان بها المستشفى العسكري البحري العثماني .

وقد اخذ العشار بالتطور وأصبح يناظر البصرة آنذاك حتى أصبح قصبة تفوق على البصرة وفيه سوق كبير منتظم ، ومطاعم وفندق للمسافرين على الطراز الحديث ، وهناك " مقام علي " وبجانبه جامع كبير ، قامت دائرة الأوقاف سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م بإعادة بنائه على الطراز الحديث ، وقد دعّى المؤلف لتحديد قبلة محراب الجامع .

وفي العشار جوامع أخرى منها جامع الخضيري الذي بناه قاسم جلبي الخضيري ، وجامع كاظم أفندي ، ومسجد حمود باشا الملاك ، ومسجد البحارنة ، ومسجد الحاج محسن الحاوي ، في محلة سوق الدجاج ، وفي القشلة مسجد بنته زهرة بنت محمد أغا الكلفاسي ، زوجة حمود باشا الملاك .

وفي العشار أيضاً المصرف العثماني والإيراني والمصرف الشرقي الانكليزي ، ودائرة البريد والبرق ، وثلاثة جسور تربط بين ضفتي نهر العشار ، وهم الجسر الغربي عند محلة ام البروم ،

أُنشا في سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م والجسر العتيق وقد أُنشا مع بداية إنشاء العشار وهو وسط المدينة وعند رأسه يقع المصرف العثماني ، والثالث الجسر الحديث وهو أخر المدينة مقابل مقام علي وأنشا في سنة ١٣٤٠هـ / .

ثم تحدث عن القرنة وقال : أنها بلدة صغيرة واقعة عند ملتقى نهري دجلة والفرات وهي أخر حدود البصرة الشمالية وفيها اربع نواحي ويشتهر أهلها بصناعة العبي المسماة، (البتيه) ، وأكثر ما يباع فيها السمك واللبن الخاثر والجبن المظفور ، وغالب أهلها فلاحون وقليل منهم من أصحاب الأملاك ، ويبلغ عدد سكانها كما ذكره النبهاني في وقتها (٢٥) إلف نسمة وفيها دار للحكومة والبرق ومسجد .

ووصف الزبير وقال : أنها تقع غرب البصرة الحالية وعلى مسافة (٧) أميال منها ، وتقع الزبير في وادي يقال له (وادي النساء) حيث إن النساء يظهرن فيه ويلتقطن الكما ، وسميت بالزبير نسبة إلى مسجد الزبير بن العوام ، وهواؤها جيد ولكنه شديد الحرارة صيفاً وتهب عليها رياح السموم ، ويوجد فيها البطيخ بنوعيه والباذنجان الأسود والأحمر والبصل والثوم ، وتنبت في تربتها الكما ، ويكثر في نواحيها الجراد ، وذكر النبهاني شيئاً عن الحركة السياسية في الزبير وتفاصيل واقعة الجمل وبعض الإحداث الأخرى ودور إل الزهير[٣٩] فيها .

وجاء على ذكر أبي الخصيب وأنها تقع على مسافة ساعات في الزورق جنوب البصرة ، وتمتد إلى نهر "أبو الفلوس" ، نفوسها(١٥) إلف نسمة اغلبهم مسلمون وكان يسكن فيها القليل من اليهود وبعض الصابئة والنصارى ، وأبي الخصيب مقسمة إلى عدد من القرى كل واحدة منها تقع بين انهار وبساتين نضرة ، وكان أبو الخصيب مديرية إلى سنة ١٩٢١ م حيث أصبح قضاءاً وفيه قوات الحكومة الرسمية وثمانية جوامع ومدرسة ابتدائية وعدد من الحمامات كما يوجد فيه أيضاً ديوانية الحاج محمد بن رجب المير ، وقد ذكر عدد من أعيان أبي الخصيب ومنهم : الملا طه إل اسحق والحاج محمود باشا عبد الواحد واحمد أفندي إل ياسين ويوسف باشا الزهير ، ومن أثارها الابلة ، وهي بلدة قديمة تقع على الشط في زاوية الخليج العربي الذي يدخل البصرة ،

وهي أقدم من البصرة وكانت مدينة عامرة يقيم فيها جيش كسرى الفارسي ، وكانت كثيرة النخيل ، وقد اندثرت واختلف في موقعها ، فقيل إن موقعها عند نهر المطوعة في المكان الذي يدعى بلجان، حيث إن فيه أثار قلعة وبنيان[٤٠] ، وكانت المدينة قد خربت بسبب إحداث " صاحب الزنج" الذي اتخذ من المختارة عاصمة له هناك .

وتناول النبهاني أيضاً قضاء الفاو وقال : أنها تقع جنوب البصرة وتنتهي عند شط العرب بالخليج العربي في منطقة رأس البيشة ، وهي محاطة بالنخيل والاشجار وتبعد عن البصرة (٩٠) كم ، ويقال إن سبب تسميتها بهذا الاسم كان لغرق احدى السفن المسماة الفاو ومن أهم قراها الدكاك ، المعامر حالياً ، وهي ملك راشد السعدون الذي عرضها للضمان فضمنها يوسف الخليفة احد شيوخ الدواسر ،وعمرها فسميت المعامر وارخت بقولهم (تعامير راشد) عام ١٨١١ م ، ثم ضمن ارض الفاو عبد الله الدورقي ومن ثم انتقل ملك راشد السعدون إلى إل الصباح هدية لهم مثلما صار قسم من الفاو الذي كان بحوزة إل الصباح التزمه منهم ابن جبران عام ١٨٣٩م الذي انتقل من الفداغية وسكن الفاو ثم التزم ارض الفاو رجل فارسي يدعى الحاج راشد البابندي عام ١٨٤٣م ، وكان في القضاء مقراً بسيطاً للحكومة قام بتعميره والي بغداد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢ ، وفي عام ١٨٨٤ م تم إنشاء الثكنة العسكرية ((الاستحكام)) ، وفي القضاء دائرة للبريد والبرق ، ودائرة للحجر الصحي ، وبعض قصور أصحاب الأملاك ، كما بنيت فيها مدرسة ابتدائية ، ولكن نظراً لقلة طلابها ، اتخذتها الحكومة سكناً للموظفين ، وفي الفاو ما يقارب (٣٣) نهراً ، وقد زاد عدد نفوس القضاء بالتدرج ، واغلبهم من الفلاحين ، والباعة وبعض الموظفين ، حتى وصل عددهم آنذاك أربعة ألاف نسمة ، وكانوا يستخدمون السفن الشراعية للتنقل ، وبقي القضاء كذلك حتى دخول البريطانيين عام ١٩١٤م ، فأصبح مديرية تابعة للبصرة .

وكان النبهاني قد افرد قسماً مهماً عن البصرة بعنوان "تاريخ ارتقاءها الحديث " ويعني به التحديث في البصرة في العهد العثماني جاء فيه : أن المعامل البخارية والأسلحة النارية دخلت

البصرة زمن السلطان عبد المجيد (الأول) ، الذي تولى السلطة سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م ، وتاسست في عهده إعمال البريد والبرق ، وتسيير البواخر النهرية في دجلة .

ولما اصبح مدحت باشا والياً على بغداد في ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ، كانت إدارة البواخر بيد شركة بريطانية ، فاسس مدحت باشا شركة عثمانية ، ورمم البواخر القديمة ، وأوصى على أخرى جديدة جلب لها الفحم الحجري ، من عدن ومسقط وبندر عباس وأبو شهر ، وكانت البواخر تلك أول من عبر قناة السويس ، التي تم افتتاحها آنذاك ، وصولاً إلى الأستانة (اسطنبول) ، وقد وصلت البواخر في عهده إلى أعالي دجلة والفرات .

كما أدخلت إلى البصرة مكائن لحزم الصوف وأخرى لحزم عرق السوس[٤١] ، استوردها فتح الله عبود المسيحي وكانت ماكنة يدوية وفي ١٨٩٢م ادخل أخرى بخارية ، وفي سنة ١٨٨٢م جلبت الحكومة معملاً للثلج وفي ١٨٨٧م ادخل يامين اليهودي اول طاحونة لطحن الحنطة ، وفي سنة ١٨٩٧م أسس منكرديك ، وهو رجل ارمني مع آخرون أول شركة عربات تسحب بالخيل لنقل الناس بين البصرة والعشار ، وفي سنة ١٩٠١م أسس كل من الحاج داغر بن محمد ومحمد سعيد شركة أخرى للعربات ، وفي سنة ١٨٨٩م أنشا إبراهيم البهري أول معمل "للقازوز" في البصرة ، بعدها انتشر هذا النوع من المعامل في العشار وأبي الخصيب والزبير ، وفي سنة ١٩٠٥م اشترى ملا عبد الرزاق العوضي محركاً بقوة (٢٥) حصاناً ونصب عليه (هباشة) لتقشير الأرز وتنظيفه ، وبعد بضعة أشهر نصب على المحرك نفسه طاحونة للحنطة ، ومن ثم تتابع إدخال المطاحن إلى البصرة.

وفي ١٩١٢م وصلت (الجوالات) على أنواعها إلى البصرة ، وأخذت تشتغل بين البصرة والعشار والمعقل والزبير وأبي الخصيب ، وتم أكساء الطرق بالقير لأجلها .

وفيما يخص المطابع والجرائد كتب النبهاني إن أول مطبعة أُدخلت الى البصرة كانت في سنة ١٨٨٨م باسم محمد علي الذي كان باش كاتب في "الأملاك السنية" العثمانية في الولاية .

وبوصول المطبعة أسس جريدة "بصرة"[٤٢] الرسمية ونظراً للخلاف الحاصل بينه وبين والي البصرة حمدي باشا أغلقت المطبعة نهائياً ، إلا إن الوالي المذكور جلب في السنة التالية مطبعة

جديدة باسم الحكومة العثمانية عرفت بـ(مطبعة الولاية) فتم إعادة صدور جريدة بصرة سنة ١٨٩٥م . فارخ بعضهم عودتها بقولهم " عادت جريدتنا والعود احمد " .

وبعد الثورة الدستورية في ١٩٠٨ أدخلت جمعية الائتلاف[٤٣] مطبعة أخرى إلى البصرة ، وقد ساهم الحاج محمود باشا العبد الواحد بحصة الأسد في شراءها ، سميت بالمطبعة المحمودية ، وقد طبعت فيها جريدة "الدستور" البصرية في سنة ١٩١٢ [٤٤] ، ومن ثم توالى إصدار الجراند بعد ذلك .

وفي ١٨٩٤م أنشأ أمين باشا قائد البحرية ، الثكنة البحرية ، كما تم أنشاء المخافر في البصرة والعشار ، وكان أولها مخفر سوق الدجاج في البصرة زمن الوالي مخلص باشا في سنة ١٩٠٥م كما اشرنا ، ومخفر باب الزبير ، كما تم بناء ثكنة برية في العشار وفي ١٩٠٩م افتتح الوالي سليمان نظيف باشا الطريق بين البصرة والعشار وأمر ببناء مخفر على الطريق ، وقص الطريق بين أبي الخصيب وباب سليمان .

ومن ثم تناول النبهاني الولاة الذين حكموا البصرة ابتداء من العصر الأموي عندما ولى معاوية بن أبي سفيان عليها يُسر بن ارطاة ثم عبد الله بن عامر ، وأعطى سرداً تاريخياً عن محاربة المهلب للخوارج وولاية مصعب بن الزبير ومقتله ثم عرج على خطبة الحجاج في البصرة عند ولايته العراق ، وقد ولى الأخير عليها الجراح بن عبدا لله الحكمي سنة ٦٩٤م ثم عبد الله الكلابي ثم عدي بن أرطاة الفزاري زمن عمر بن العزيز إلى أخر الإحداث .

ووصف البصرة زمن العباسيين فكان أول من وليها آنذاك سفيان بن معاوية ابن يزيد ابن المهلب سنة ٧٥٢م ، ثم تولى عليها سفيان ابن عيينه المهلبي الذي سعى في توطيد الأمان بين الأهالي وتعمير ما خرب من المباني وفي السنة التالية تولى عليها سليمان ابن علي ، عم عبد الله السفاح الذي الحق بالبصرة السواد ودجلة والبحرين وعمان .

وقد استمر النبهاني في ذكر ولاة البصرة طيلة العصور العباسية ماراً بالمهم من إعمالهم وما شاب أيامهم من الصعاب والإحداث وما عانته البصرة أيام الزنج والقرامطة والبريدي وأيام السلاجقة لغاية سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، ومن ثم واصل النبهاني ما حل في البلاد من الفوضى وعدم الاستقرار وتعاقب الحكام لغاية امتداد نفوذ الدولة العثمانية

الى العراق ، فكان السلطان سليم الأول ، هو أول من فتح الموصل وبلاد الجزيرة ، وأعقبه السلطان سليمان القانوني الذي انتزع بغداد من أيدي الدولة الصفوية بينما بقيت البصرة مستقلة لغاية سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م حيث بعث حاكمها يومئذ مغامس ابن مانع مفاتيح البصرة مع ابنه راشد إلى السلطان سليمان القانوني وعرض عليه طاعته وخضوعه ، فكرمه السلطان واقره هو وابنه على حكم البصرة على أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني والعمل بمقتضى الأوامر التي تصدر من ولاة بغداد .

إلا انه في سنة ١٥٤٣م تولى البصرة الشيخ مانع ابن مغامس الذي اخذ يتمرد على ولاة بغداد ويحمي العصاة فصدرت الأوامر العثمانية بتوجه الجنود نحو البصرة بقيادة إياس باشا فكانت معركة أسفرت عن انكسار مانع ابن مغامس وفراره إلى نجد فاحتل إياس باشا البصرة سنة ١٥٤٦م وتولى الحكم فيها فكان أول عثماني يتولى الحكم في البصرة .

وقد بقيت البصرة طيلة العهد العثماني إما مستقلة بحكمها وإما تابعة إلى ولاية بغداد وأحياناً تحولت إلى ولاية كبيرة يتبعها لواني العمارة والمنتفق .

وقد استعرض النبهاني الولاة العثمانيين الذين تولوا حكم البصرة منذ عهد إياس باشا ولغاية سنة ١٩١٤م وما مر عليها من إحداث بسبب تمرد العشائر لاسيما عشائر المنتفق والمدينة والجزائر (منطقة الاهوار) وحكم أسرة افراسياب والصراع العثماني – الفارسي الذي كانت البصرة ميداناً له[٤٥] ، وفي ما يلي بعض ما تعرض له النبهاني :

ففي سنة ١٥٤٩م عصت الجزائر فاستنجد أميرها بـ علي بك والي البصرة الذي اخبر بغداد بالموقف فارسلت جيشاً بقيادة تمرد علي باشا الذي سار إلى البصرة وحاصر ازعيمه ابن عليان ، حاكم الحويزة في قلعة المدينة ، ففر الأخير واستولى العثمانيون على الجزائر .

وفي سنة ١٥٦٢م وجهت ولاية البصرة إلى بكرلي درويش باشا وفي عهده جمع ابن عليان الإعراب من المنتفك والجزائر فاحتلها ثانية ، فارسل والي بغداد جيشاً بقيادة اسكندر باشا فطرد ابن عليان ، وفي سنة ١٥٧٤م استخف أهالي البصرة من الوالي درويش باشا بسبب هزيمته أمام

الإعراب وعصاه الناس ، فتولى البصرة افراسياب الديري[٤٦] وكيلاً عن درويش باشا لغاية وفاته سنة ١٦٠٢م[٤٧] ، فتعين محله ابنه علي باشا الذي دخل في معارك مع جيش الشاه عباس الأول وانتصر عليهم ، ففتح واتباعه الجزائر وانتزع كوت معمر من حاكم بغداد وكوت الزكية من يد حسن بن النائب ، وانتصر في معارك أخرى .

وتوالى ذكر الإحداث والولاة حتى سنة ١٦٦٥م حين اصدر السلطان العثماني أمراً لإبراهيم باشا حاكم بغداد بتوجيه جيش إلى البصرة وانتزاعها من حسين باشا بن علي باشا افراسياب . الذي بنى قلعة في القرنة وذهب إليها لملاقاة الجيش العثماني تاركاً محمد بن فداغ مكانه في البصرة ، غير إن البصريين ثاروا عليه وأخرجوه منها ، فارسل إليهم حسين باشا جيشاً باغتوا الأهالي ليلاً وقتلوا الكثير منهم ، وجرت معركة بين حسين باشا وإبراهيم باشا ، لم تسفر عن شيء وظل إبراهيم باشا يحاصر القرنة نحو ثلاثة أشهر ، ولما عجز عن إخضاع حسين باشا اضطر إلى الصلح معه وطلب من الباب العالي إعادة حسين باشا لحكم البصرة فوافق السلطان فعاد حسين باشا إلى حكم البصرة للمرة الثانية عام ١٦٦١م .

ولكن السلطان تدارك الموقف وعين على البصرة يحيى أغا ابن علي أغا ورقاه إلى رتبة باشا . ووجه معه قوة كافية إلى البصرة ، فدارت بينه وبين حسين باشا معركة انتهت باندحار الاخير وفراره إلى الدورق في عربستان ، ومنها إلى شيراز مستغيثاً بالشاه عباس بن صفي بن الشاه عباس الأول ، غير أن حكومة شيراز لم تساعده ، فذهب إلى الهند فاكرمه صاحبها وولاه بعض مدنه المسماة (باجير) فاستقدم أهله من الدورق إلى الهند ، إما يحيى باشا فقد دخل البصرة سنة ١٦٦٧م .

ثم ذكر النبهاني مجموعة الولاة أبرزهم من تعين عام ١٦٨٧م وهو عبد الرحمن باشا ، وكان عالماً فاضلاً أسس المدرسة الرحمانية ، وألغى عن الأهالي الرسوم المجحفة ونشر العدل واستتب الأمن ، وفي ١٦٨٨م تعين الدفتردار حسين باشا والياً على البصرة ، وفي ١٦٩١م عين الأهالي حسين باشا والياً على البصرة ، وفي ١٦٩٢م وجهت ولاية البصرة إلى جليل باشا أخ احمد باشا والي بغداد ، فجهز جيشاً لمحاربة الشيخ مانع ، شيخ المنتفق ودارت بينهما معركة كانت نتيجتها

تقهقر جليل باشا ، غير أن الحكومة العثمانية استمالت الشيخ مانع وزادت مخصصاته فخضع للدولة ، وعاد جليل باشا والياً على البصرة مستقلاً فيها ، إلا أن أهالي البصرة عادوا وسلموا مدينتهم إلى الشيخ مانع سنة ١٦٩٤م فظل حاكماً عليها لغاية ١٦٨٧م ، حيث استطاع حاكم الحويزة فرج الله خان من خلال الدسائس والحيل إخراج الشيخ مانع من البصرة وعين عليها من قبله داود خان ، وفي سنة ١٧٠٠م تم تعيين عثمان باشا وفي السنة نفسها تمردت عشائر الجزائر والمنتفق مرة أخرى فهجموا على البصرة ووصلوا الزبير فبرز لهم احمد باشا والي البصرة في معركة أسفرت عن قتل الوالي الأمر الذي أدى إلى تراجع جنوده ، فلما سمع الكتخذا حسين باشا بمقتله جمع أهالي البصرة وعينوه باتفاق الآراء والياً عليها فاستطاع طرد الأعراب منها .

ومن ثمّ واصل النبهاني في تتبع الولاة الذين حكموا البصرة حتى سنة ١٧٠٨م حين عاد مغامس شيخ المنتفق إلى العصيان وهاجم البصرة واحتلها ودارت بينه وبين السلطات العثمانية معركة أسفرت عن فراره ، ودخول القوات العثمانية البصرة حيث تم تعيين مصطفى أغا والياً عليها ، وفي سنة ١٧١٥م تولى عليها ميرمران احمد باشا ، حيث عمت الفوضى المدينة فاستقل الشاه طهماسب الثاني ذلك وأغار على إطرافها سنة ١٧٣٠م غير إن الدولة العثمانية استطاعت الانتصار عليه ، ونظراً لطلب الشاه الصلح تم توقيع معاهدة بين الجانبين سنة ١٧٣٢م .

كما تطرق النبهاني إلى حصار البصرة في عهد كريم خان الزند ، الذي هاجم العراق ووصلت جنوده سنة ١٧٦٨م إلى شط العرب ، بقيادة صادق خان ، وكان يتولى البصرة في وقتها سليمان بك الكبير ، فحاصر صادق خان البصرة ومعه قبيلة كعب فضيقوا على أهلها كثيراً حتى اضطر الناس إلى أكل الجيف ، وقد حضر ثامر السعدون وثويني العبد الله وهما من شيوخ المنتفق بينما كانت الدولة العثمانية في حربها مع روسيا آنذاك فلم تتمكن من إرسال جيش إلى العراق ، وأستمر القتال بين الطرفين ثلاثة عشر شهراً ، دخل بعدها صادق خان إلى البصرة بمكيدة ذكرها النبهاني بالتفصيل وعامل أهلها معاملة سيئة جداً حيث تعطلت دور العبادة والعلم وكبل أعيان البصرة بالحديد ، ودارت حروب بين فارس والمنتفق بقيادة ثويني وثامر السعدون فاستطاعوا هزيمة

الفرس وقتل قائدهم علي محمد خان في عام ١٧٧٨م وانسحبوا من البصرة ، فتعين بعدها نعمان بك ، والي بغداد ، متسلماً على البصرة .

ثم تواصلت الإحداث حتى سنة ١٨٠٥م حاصر سعود بن عبد العزيز أمير الدرعية البصرة ونهبها وحرقها فدافع عنها إبراهيم أغا دفاعاً مستميتاً ساعده في ذلك شيوخ المنتفق ، فاضطر سعود للتراجع ، وفي سنة ١٨١٠م أصبح احمد بك متسلماً على البصرة ، وفي ١٨١١م رضوان أغا وفي ١٨٢٣م عبد الغني أغا وفي ١٨٢٤م عزيز أغا ، وفي سنة ١٨٢٦م حصلت مشاكل بين الشيخ عقيل بن محمد والشيخ حمود حول البصرة ودارت معركة بين جيش عقيل النجديين من البصرة وبين جماعة فيصل بن الشيخ حمود .

وفي سنة ١٨٣٠ عاد العراق بالكامل تحت سلطة الدولة العثمانية ، وفي ١٨٦٥م فرق نامق باشا مقاطعات القرنة وجعلها بيد متسلم البصرة وأخذ وارداتها إلى خزينة الولاية ، وفي سنة ١٨٦٩م عندما ارتبطت أكثر مقاطعات البصرة برسم (الجريب) ارتفعت بين السكان المنازعات والمنافسات التي كانت تنجم عن الالتزام ثم فوضت أكثر الأراضي الأميرية منها ببدل المثل بشرط الأعمار وألغيت بعض الرسوم فدبت الحياة في ثروة البلاد ، ثم تشكلت أصول الولاية ورتبت دائرة البلدية ومحكمة التمييز وبدأ الناس يهاجرون إلى البصرة ، وفي عام ١٨٧٠م عين حافظ باشا متصرفاً على البصرة وبعده جليل بك ثم سعيد أفندي و اصف أفندي .

وفي سنة ١٨٧٥م تعين على البصرة ناصر باشا السعدون الذي سعى إلى فصل البصرة عن بغداد فصارت ولاية بعد إن كانت متصرفية ، ثم حصلت مشاكل بين ناصر السعدون وبين قاسم باشا الزهير ، وكان الأخير قد شرح للدولة العثمانية حالة العراق بعد تولي ناصر السعدون ، فارسلت السلطات العثمانية على ناصر السعدون في حين ظل قاسم باشا الزهير في الأستانة إلى أن توفي سنة ١٨٨٦م ودفن بجوار أبو أيوب الأنصاري ثم أسندت لابنه يوسف الزهير رتبة باشا فلقب يوسف باشا الزهير وتوفي الأخير في الزبير سنة ١٨٩٢م .

وفي سنة ١٨٧٦م ثار لواء نجد مرة أخرى فاصدر والي بغداد أوامره إلى ناصر باشا السعدون ليقوم بردع ذلك اللواء ، فسار نحو الإحساء وألب الثائرين وعين من قبله بزيغ العديد متصرفاً على الإحساء ثم عزله وجعل بدله ابنه مزيد باشا بن ناصر السعدون ، وفي سنة ١٨٧٨م تعين عبد الله باشا والياً على البصرة ، وفي سنة ١٨٧٩م تعين ثابت باشا وهو الذي فاوض الدولة العثمانية في أمر البواخر النهرية ففوضت له الحكومة الأمر في إصلاحها بالاتفاق مع مجلس إدارة الولاية ، وفي سنة ١٨٨٠م عادت البصرة متصرفية وتعين عليها مظهر باشا .

ومن مجموعة الولاة الآخرين الذين حكموا البصرة الفريق شعبان باشا العنتابي وهو الذي أمر البصريين بزرع القطن وجلب لهم بذور القطن من الموصل ،وفي سنة ١٩٠٩م تعين سليمان نظيف بك والياً من الدرجة الأولى وهو الذي أمر بقص الطريق بين العشار والبصرة وأمر ببناء مخفر وسط الطريق يقال له الرشادية ، وقد تحول المخفر بعد ذلك إلى دار للمساحة ، وتولى على البصرة مجموعة ولاة آخرين حتى سنة ١٩١٤م عندما وقعت الحرب العالمية الاولى حيث فاحتلت بريطانيا الفاو ودافع عنها اليوزباشي العثماني سامي بك إلى أن قتل ، وهاجمت القوات البريطانية البصرة ونهبت مقر المكوس (الكمارك) ، وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني سقطت القرنة ، وقد هاجم العرب بمشاحيفهم الانكليز واسروا عدداً من الجنود ، ثم وقعت معركة الشعيبة التي دامت ثلاثة أيام اضطر العثمانيون على أثرها إلى الانسحاب لسوء تفاهم حصل بين القوات أدى إلى انزعاج سليمان بك فانتحر على أثره .

وفي سنة ١٩٢٣م وصلت سكة الحديد إلى جسر الغربان ، شمال البصرة حالياً ، حيث ياتي القطار صباحاً ومساءً ويخرج إلى تلك المحطة الأهالي للتنزه .

وقد أشار النبهاني في أخر الكتاب إلى زيارة حاكم البحرين الشيخ عيسى أل خليفة إلى البصرة سنة ١٩٢٣م ، وقد أرسل أولاده الشيخ مبارك والشيخ عبدا لله ليدخلا إحدى مدارس البصرة في السنة التالية .

وقد ورد أن الكتاب تضمن عدداً من الصور النادرة لبعض أعيان البصرة والزبير وأبي الخصيب ، كذلك بعض المناظر النادرة عن البصرة ، ومن المهم ذكره انه وردت صورة للمؤلف مع بعض الأطفال كتب عليها صورة المؤلف مع تلاميذ المدرسة النبهانية ، مع العلم لم يرد أي ذكر عن هذه المدرسة لا في كتابه ولا في أي كتاب أخر عن البصرة .

هوامش ومصادر البحث

١- وهم بنو طيء بن ادد بن زيد بن يشجب بن زيد كهلان ، والنسبة اليهم طائي ، أخذاً من الطاءة ، وهي الايغال في المرعى ، واليهم ينسب حاتم الطائي ، وابو تمام الشاعر المشهور ، كانوا باليمن فخرجوا منها على القرب من بني أسد ، ثم غلبوهم على جبلي أجا وسلمى ، من بلاد نجد فنزلوهما ، فعرفا بجبليّ طيء إلى ألان ، افترقوا في أول الإسلام ، زمن الفتوحات ، في الأقطار ، ولهم بطن كثر ، منهم نبهان ،وهم بنو نبهان واسمه سودان بن عمرو بن الغوث بن طيء ، لمزيد من الاطلاع ينظر : منتديات اون لاين ، ما القول الفصل في ال نبهان ، www.Kiva .org.

٢- عندما تفرق بنو نبهان بعد الفتوحات الإسلامية ، كان جدود المؤلف ممن سكن بر قطر في حدود القرن العاشر الهجري ، وبسبب الأحداث التي مرت على المنطقة تركوها إلى جزيرة البحرين ، ثم عادوا إلى قطر ، وعندما استقرت الأمور ثانية ، رجع ال نبهان إلى البحرين ، غير أن الشيخ خليفة بن حمد ، والد المؤلف استحسن سكنى مكة المكرمة ، رغبة في طلب العلم فتوجه إليها مع والدته سنة ١٢٨٧هـ ، وعمره سبعة عشر عاماً ، ولحقهم والده بعد بضعة سنين واستقرت العائلة في مكة ، وظل خليفة بن حمد مثابراً على طلب العلوم والمعارف في المسجد الحرام ، حتى ارتقى إلى التاليف ، وتزوج من ال بني حديد ، من شيبان ، فرزق ذكوراً وإناثا ، أكبرهم نجله محمد بن خليفة . للمزيد من الاطلاع ينظر : محمد بن خليفة النبهاني الطائي ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ج٦ ، تاريخ البحرين ، القاهرة ، ١٩٢٣ ، ص١٧١-١٧٢ .

٣- نسبة إلى صولت النساء بيكم ، وهي امرأة ثرية من كلكتا في الهند كانت تنفق مالها في البر والخير ومساعدة طلاب العلم ، فاقترح عليها الشيخ رحمة الله بناء مدرسة في مكة ، وقد كلفته بالاشراف عليها ، فكانت اول مدرسة نظامية بنيت في مكة المكرمة سنة ١٢٩٠هـ ، للاطلاع ينظر : www. Alriyadh . com .

٤-معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين محمد بن خليفة النبهاني ، سيرة شاعر : www. almoagam . org .

٥- المصدر نفسه .

٦- هو الشيخ عيسى بن خليفة بن سلمان بن احمد الفاتح بن خليفة ، ولد سنة ١٨٤٨م ، وتولى حاكمية البحرين سنة ١٨٦٩م وعمره (٢١) سنة اهتم والده بتعليمه فنون الإدارة والسياسة ، وقد شهدت البحرين في عهده إنشاء البلديات وسلطات تطبيق القانون والجمارك والتعليم والقضاء ، توفي سنة ١٩٣٢م للمزيد ينظر : www . wikpedia . org

٧- محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص٢٠ .

٨- ولد الشيخ حمد بن عيسى سنة ١٨٧٤م ، حكم البحرين بعد وفاة والده سنة ١٩٣٢م ولغاية ١٩٤٢م ، رباه والده تربية الملوك وجلب له ولإخوانه الأساتذة فتخرج على يدهم ، اشتهر بالكرم والفروسية ، للمزيد من الاطلاع ينظر : www . wikpedia . org

٩- محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ .

١٠- المصدر نفسه ، ص٢١٥-٢٣١ .

١١- معجم البابطين ... ، المصدر السابق .

١٢- المصدر نفسه .

١٣- ورد في مقال باحث إعلامي سعودي بعنوان " مع اليوم الوطني السعودي ، التحفة النبهانية : تاريخ مفقود ، أن الكتاب طبع عدة طبعات أقدمها في مطبعة دار السلام ببغداد عام ١٣٣١هـ / ١٩١٢م ، فإذا صح الجزء الأول من الكلام المذكور بانه طبع لأول مرة في بغداد ، لا يصح الجزء الثاني منه ، لان فكرة مشروع الكتاب ولدت عند المؤلف ، عندما زار البحرين في سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م : ينظر : الشرق الأوسط ، جريدة العرب الدولية ، على الموقع : www . aawsat . Com .

١٤- أخر طبعة للكتاب صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ٢٠٠٤م .

www.bustanbook . com .

١٥- التحفة النبهانية ، تاريخ مفقود ، المصدر السابق .

١٦- المصدر نفسه .

١٧- بذلت في المملكة العربية السعودية جهود لم تفلح بعد في العثور على الأجزاء المفقودة من كتاب التحفة النبهانية ، كون معظم المفقود منها يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية وما حولها كما يلاحظ من عناوينها : المصدر نفسه .

١٨- وردت قائمة بمؤلفات الشيخ محمد بن خليفة النبهاني نهاية الجزء التاسع " تاريخ البصرة " من كتاب التحفة النبهانية ، ص٤٠١-٤٠٢ .

١٩- أسرة عربية معروفة من عشيرة ربيعة العراق نزحت إلى البصرة مع من نزح إليها من القبائل العربية يقدر عددهم بداية الأمر سبعة اسر وسميت جميعها بالإمارة لكونهم من رؤساء قبائل ربيعة ، والرئيس يدعى الأمير ، استوطنت في أبي الخصيب واشتغلت بالزراعة والتجارة : عبد المجيد حسن الغزالي ، البصرة ، من منشورات جريدة الهدف ، بغداد ، ١٩٤١ ، ص٣٧١ .

٢٠- الحميدية والبرهانية ، باخرتين عثمانيتين حديثتين صنعتا في اسكتلنده لحساب الشركة الحميدية التي تشكلت سنة ١٩٠٤م ، حسين محمد القهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٢٦٦ .

٢١- جريدة بصرية أسبوعية ، صدرت باللغة العربية في ١٩ شوال ١٣٢٩هـ الموافق ١٢ تشرين الأول ١٩١١م ، صاحب امتيازها ومديرها المسؤل احمد جودت كاظم ، التزمت الجريدة بالدعوة إلى الجامعة العثمانية ، وكانت في الوقت نفسه مؤيدة لجمعية الاتحاد والترقي واهتمت بنشر إخبارها ، توقفت عن الصدور في مطلع سنتها الثانية ... : للمزيد من الاطلاع ينظر : رجب بركات ، من صحافة الخليج العربي ، الصحافة البصرية بين عامي ١٨٨٩-١٩٧٣م ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص٤٩-٥٠ .

٢٢- أن الجزء الغربي من محلة القبلة القديمة يطلق عليه حالياً محلة النبهاني ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى طول مقام الشيخ النبهاني في ذلك المكان ، ومدى تاثيره في أهلها ، ويفصل حالياً شارع الخليج العربي بين القبلة القديمة ومحلة النبهاني وكلاهما في البصرة القديمة .

٢٣- ترجمها السيد حسن الصديق ، رئيس شرطة البحرين آنذاك ، بأمر من الحكومة البريطانية ، محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص٥ .

٢٤- المصدر نفسه ، البصرة ، ج٩ ، ص٣٩-٩٩ .

٢٥- هو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى في ١٥/ رجب سنة ٢٧٦هـ / ١٣تشرين الثاني ٨٨٩م ، اديب ومحدث وفقيه ومؤرخ عربي ولد في الكوفة ونشا في بغداد وتعلم على يد مشاهير علمائها له العديد من المصنفات اشهرها عيون الاخبار ، ادب الكاتب ، كتاب المعارف .
www.wkipedia.org

٢٦- هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني ، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية معروفة ، استوطن همذان وبها ولد بديع الزمان في سنة ٣٩٥هـ / ٩٦٩م فنسب إليها ، ويعد كتاب "المقامات" من أشهر مؤلفات الهمذاني :
www.wkipedia.org

٢٧- حول العرب وأجيالهم ينظر : عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر ، المجلد الثاني ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص٢١ .

٢٨- ذكر النبهاني في تعريف عثمان بن سند بانه أخر فضلاء البصريين وهو من أهل البحرين ، توفي ببغداد سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ، والصحيح أن عثمان بن سند ولد في جزيرة فيلكة ، التابعة للكويت في سنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م ، ارتحل بصحبة عائلته ، وهو صغير إلى الإحساء ، غير أن الغزوات الوهابية التي طالت قرى الإحساء تسببت في حركات نزوح من الإحساء إلى البصرة ، وكان عثمان بن سند من جملة النازحين حيث استقر به المقام في البصرة وذلك في ١٢٠٤هـ /

١٧٨٩م ، ومن ثم اضطر إلى مغادرة البصرة إلى بغداد واستقر فيها حيث توفي هناك ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في ١٩ شوال ١٢٤٢هـ / ٧ أيار ١٨٢٧م ، لمزيد من الاطلاع ينظر ، عثمان بن سند الوائلي البصري ، مطالع السعود ، تاريخ العراق من سنة ١١٨٨-١٢٤٢هـ / ١٧٧٤-١٨٢٦م ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص٧-٢١ .

٢٩- خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمر بن الأهتم التميمي ، من فصحاء العرب المشهورين ، ولد ونشأ في البصرة ، الحافظ الذهبي ، سير إعلام النبلاء على الموقع :

www.bnitamem.com.

٣٠- ابو سعيد عبد الملك بن علي بن اصمع واليه نسبته ، من قبيلة باهله القيسية ، راوية ثقة صدوق ، وإمام في اللغة والغريب والإخبار والملح ، نشأ في البصرة مونل العربية ومحفل علمائها في عصره .. مات في عصر المأمون بالبصرة ، فرثاه الكثير من الشعراء : الموسوعة العربية على الموقع

www.arbency.com

٣١- احمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر بن خلكان ٦٠٨-٦٨١هـ/ ١٢١١-١٢٨٢م ، ولد في اربل غرب الموصل ، انتقل إلى مصر وأقام فيها مدة من الزمن ثم سافر إلى دمشق فولاه الملك الظاهر قضاء الشام ... درسَ في مدارس دمشق وتوفي فيها ودفن في سفح قاسيون ، نبغ في الإحكام وأصول الفقه ، وأصول الدين وعلومه صاحب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاما .. المعرفة على الموقع :

www.marfa.org

٣٢- سفيان ابن عينية ابن أبي عمر الهلالي ، إمام ومحدث شهير ولد في الكوفة سنة ١٠٧هـ وتوفي سنة ١٩٨م ، اجمع الناس على صحة حديثه وروايته ، وقد روى الحديث عن الزهري وأبي اسحق السبيعي وعمرو بن دينار وروى عنه الشافعي ومحمد بن اسحق والزبير بن بكار ويحيى بن كثم .

www . wikpedia . org

٣٣- وهو القاضي أبو علي المحسن علي بن علي اب الفهم داود التنوخي ، ولد سنة ٣٢٧هـ في البصرة ونشأ فيها ، كان شاعراً واديبا واخبارياً تقلد القضاء في اماكن عدة ، اقام في بغداد وحدثَ

فيها لحين وفاته سنة ٣٨٤هـ ، والده القاضي ابو القاسم علي بن محمد ، ومن كتبه الفرج بعد الشدة ، لمزيد من الاطلاع ينظر : صبيح نوري خلف ، القاضي التنوخي حياته وبعض الجوانب من مؤلفاه ، بحث منشور ضمن هذا العدد من مجلة دراسات تاريخية ، ص ١٨١ – ١٩١ .

٣٤- وهو أبو الحسن علي بن الحسين وكنيته أبو الحسن ولقبه قطب الدين وهو من ذرية عبد الله بن مسعود ، مؤرخ وجغرافي ، ولد ونشأ ببغداد ، وكان كثير الإسفار فزار بلاد فارس والهند وسيلان والسودان وجنوب الجزيرة العربية والشام والروم وأصقاع بحر قزوين وانتهى به المطاف إلى فسطاط مصر ، صاحب كتاب مروج الذهب ، والتنبيه والاشراف ، ويذكر به أهمية العراق وبغداد وكونها مسقط رأسه .

www . wikpedia . org

٣٥-صاحب الزنج وهو اللقب الذي أطلقه المؤرخون على ، علي بن محمد الذي ظهر في البصرة فقاد الزنج في ثورة كبرى دامت نحو (١٤) سنة من ٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٩-٨٨٣م ، ولمزيد من الاطلاع ينظر : فيصل السامر ، ثورة الزنج ، بيروت ، ١٩٧١ .

٣٦- هو عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، ٥٥٥-٦٣٠هـ ، مؤرخ إسلامي كبير عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي ورصد إحداثها ويعد كتابه : الكامل في التاريخ مرجعاً لتلك الفترة في التاريخ الإسلامي ، ولد في جزيرة ابن عمر ، وهي ضمن الحدود التركية حالياً ، في أعالي سوريا ، تولى والده تعليمه ، حفظ القران وتعلم مبادئه ، رحل إلى الموصل مع أسرته فسمع الحديث من أبي الفضل عبد الله بن احمد وأبي الفرج يحيى الثقفي ، وإثناء خروجه إلى الحج كان يعرّج على بغداد ليسمع من شيوخها الكبار ، رحل إلى دمشق وتعلم من شيوخها وعلمائها عاد إلى بيته وانقطع للتاليف والتصنيف ، ويقع كتاب الكامل في التاريخ في (١٢) مجلد من الخليقة إلى عصره عند أخر سنة ٦٢٨هـ .

www . wikpedia . org

٣٧- عبد الرحمن بن ابي بكرة الثقفي ، محدث وراوي ، ويكنى بابي بحر تابعي ، ولد سنة ١٤هـ ، وهو أول مولود ولد في البصرة بعد تمصيرها فطعم أبوه أهل البصرة " جزروا فكفتهم " يعني لقلتهم : موسوعة الفتاوي : www.islamweb.net

٣٨- ذكر كارستين نيبور الذي زار البصرة سنة ١٧٦٥م أسماء (٧٣) محلة في البصرة ، نقلاً عن خلود عبد اللطيف عبد الوهاب ، البصرة في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩م ، البصرة ، ٢٠١٠ ، ص٣٤ .

٣٩- إل الزهير : أسرة عربية عريقة من نجد استوطنت الزبير منذ وقتاً طويل واشتغلت بالتجارة ، كان لإفرادها مواقف مشهورة في الحكم العثماني وقد سلمت اليها مشيخة وزعامتها : للمزيد من الاطلاع ينظر . باسم حمزة عباس ، اسرة ال الزهير البصرية ودورها في البناء الحضاري والتواصل الإنساني ، مجلة دراسات تاريخية ، ع٧ ، ٢٠٠٩ .

٤٠- ذكر النبهاني أن احد أصحاب الأملاك في المنطقة اخبره بانه حفر أساسا للبناء فوجد عمق الأساس إعجاز نخل قديمة فلعل الابلة كانت تمتد من المطوعة إلى بلجان ... ، محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص١٤٠ .

٤١- عرق السوس ،(Licorice)، أو أصل السوس ،وهو نبات شجري معمر ينبت في كثير من بقاع العالم ، والجزء المستخدم منه هو الجذور ، وله قيمة علاجية عالية ، وقد عرفت جذور هذا النبات منذ أكثر من أربعة آلاف سنة عند البابليين كعنصر مقوي للجسم ومناعته ، وعرفه المصريون القدماء : www.khayma.com

٤٢- وهي جريدة البصرة الرسمية ، صاحب امتيازها الحكومة العثمانية ، ورئيس تحريرها محمد علي أفندي ، وهي أول جريدة في البصرة ، صدرت باللغتين العربية والتركية ظهر أول عدد لها في التاسع من جمادي الثاني ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م : للمزيد من الاطلاع ينظر : رجب بركات ، المصدر السابق ، ص١٢-١٨ .

٤٣- المقصود حزب الحرية والائتلاف الذي تاسس في البصرة في أب / ١٩١١م .

٤٤- صدرت جريدة "الدستور" في الثاني من صفر ١٣٣٠هـ / الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩١٢م ، وهي جريدة أسبوعية عربية عثمانية إصلاحية ، ظهرت في أربع صفحات باللغتين العربية والتركية ، وناطقة باسم جمعية البصرة الإصلاحية حيث كانت تهدف إلى إصلاح الأوضاع العامة في ولاية البصرة ، صاحب امتيازها عبد الله الزهير . لمزيد من الاطلاع ينظر : ليلى ياسين حسين ، قراءة في جريدة "الدستور" البصرية ، مجلة دراسات تاريخية ، بغداد ، بيت الحكمة ، ع٣ ، س٢ ، ٢٠٠٠ ، ص٥٦-٧٠ .

٤٥- بلغ عدد من تولى حكم البصرة طيلة العهد العثماني(١٣٢) ما بين والٍ ومتسلم وقائمقام .

٤٦- نسبة إلى ناحية الدير شمال البصرة ، وذكر انه من إل سلجوق وأن أهل الدير هم أخوال افراسياب ، فتح الله بن علوان الكعبي ، زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر ، بغداد ، ١٩٢٤م ، ص١٦-١٧ .

٤٧- كان افراسياب كاتباً للجند في البصرة ، وكان قد اتفق رأي أهل البصرة على مقاطعة حاكمها علي باشا فقلت مداخيله وعجز عن دفع رواتب الجند فاشترى افراسياب البصرة بثمانية اكياس من الذهب على ان لا يقطع الخطبة باسم السلطان العثماني ، المصدر نفسه ، ص١٧ .